التربية و التعليم عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي: تحليل للمفهوم و العلاقة

حمزة عايد*
المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر

Education and teaching according to Mohammed el-bachir el-ibrahimi: An analysis of the concept and the relationship

Hamza aid *
hamzaaid1604@gmail.com
Ecole normale Bouzareah, Algeria

تاريخ الاستلام: 2020/03/19؛ تاريخ القبول:2021/04/03؛ تاريخ النشر: 2023/08/31

ملخص: تمثل التربية و التعليم عند الإمام البشير الإبراهيمي أحد أهم العوامل التي ينبغي مراعاتها للنهضة بالمجتمع، وبناء مواطنين كفيلين بحمل لواء التغيير، وهو ما تبرزه رؤيته التربوية، التي بين من خلالها العلاقة التكاملية الوظيفية بين وظيفتي التربية والتعليم، مع الحرص على أسبقية التربية من جهة وانتقاد الطرائق والأساليب القديمة المعتمدة في ذلك خاصة التلقين. مقدما رؤى أقرب ما تكون إلى النظريات التربوية الحديثة. ما يَنمُّ عن رؤية الإمام المتبصرة الإستشرافية للتربية ودورها في بناء مجتمع جزائري مستقل ومتحضر.

الكلمات المفتاحية. التربية؛ التعليم؛ المفهوم؛ العلاقة؛ التكامل.

Abstract: According to Mohamed Elbachir Elibrahimi, education and raising are one of the most important factors that should be considered to develop the society and build reliable citizens able to carry the banner of change. This is highlighted by his pedagogical theory, which shows that the relationship between education and raising is merely complementary. However, he insists on the priority of raising from one side and criticized the old methods and techniques in teaching by presenting visions close to the modern pedagogical theories. This proves his foresight visionary concerning the importance of raising in building developed and independent society.

Keywords . Education, raising, concept, relationship, integration.

*corresponding author

1.مقدمة

تعدّ التربية لبنة أولى في تحديد مسار المجتمعات عبر التاريخ وضمان حركيتها، لذلك شكّلت لحظة فارقة في تاريخ الأمم من خلال ربطها بالحياة وبالحضارة. فوّظفت كأداة بناء من هذا المنطلق، كما شكّلت على النقيض أداة استلاب وتقويض على حسب الأيديولوجيات الموجهة لها. هذا ما انعكس في سياسة المستدمر الفرنسي اتجاه المجتمع الجزائري. حيث قَدِمَ المحتلّ حاملا السيف والصليب، معزّزا بالجندي والمعلم والرّاهب. هذا ما حتّم توظيف نفس الوسيلة كأداة مقاومة من طرف ثلّة من العلماء الجزائريين على شاكلة باعث النهضة الجزائرية الإمام ابن باديس والشيخ العربي التبسي ومبارك الميلي وغيرهم. ويشكّل الإمام البشير الإبراهيمي علامة فارقة تضاف لهؤلاء الثلّة من المصلحين. إذ تعكس جهوده التربوية – تنظيرا وممارسة- ملامح فلسفة تربوية تعليمية مترامية الأطراف، تستدعي استقصاءها والوقوف عليها دراسة وتحليلا. إذ يتطرق الباحث في هذه الدّراسة الموجزة إلى محاولة استقصاء وتحديد العلاقة القائمة بين التربية والتعليم لدى الإمام الإبراهيمي. من خلال البحث في إشكالية الدّراسة التي صيغت كالتالي:

ما المفهوم الذي يحدده الإمام محمد البشير الإبراهيمي لكل من التربية و التعليم في مشروعه التربوي؟ وما العلاقة القائمة بينهما ؟

1.1 أهمية الدراسة: تتأتى أهمية هذه الدراسة من الأهمية التي تحضى بها قضايا التربية والتعليم من جهة في وطننا ولما تثيره من إشكالات وتطرحه من مآلات، وما يعزز هذه الأهمية أكثر هو شخصية الدراسة الإمام محمد البشير الإبراهيمي الذي قدّم رؤية تربوية تعليمية في ظل واقع جزائري كان يستميت ضد عنجهية الإستدمار الغاشم ويعاني ويلاته، وهو ما يبرز الأهمية الكبيرة التي يحضى بها موضوع التربية والتعليم في أي قفزة حضارية أو تغيير اجتماعي كفيل بنقل المجتمع من طور إلى طور.

كما أن الموضوع يطرح رؤية فكرية مفاهيمية قائمة على استقراء الواقع التربوي الجزائري بالخصوص والواقع الإسلامي عامة، فرؤية الإبراهيمي مستوحاة من الواقع الجزائري المعيش، ومختلف خصوصيات المجتمع الجزائري، فهي رؤية تتضمن الإلمام بإحداثيات الأمة الجزائرية وتاريخها، وبمقومات الشخصية الوطنية التي نادت بها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المتمثلة في الدين الإسلامي الوطن الجزائري واللغة العربية، تحت شعار "الإسلام ديننا، الجزائر وطننا والعربية لغتنا" ومنه فموضوع التربية والتعليم عند الإبراهيمي يكتسي طابعا واقعيا يرتبط بمقومات الأمة ويسعى إلى الخلاص بها من ويلات استدمار غاشم، والرقي بها إلى مصاف الأمم المتحضرة دون الإنسلاخ عن المقومات الوطنية.

2.1 أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى توضيح رؤية الإمام الإبراهيمي لمفهومي التربية والتعليم، وتوضيح تلك العلاقة التكاملية التي تجمعهما، من خلال القيام بنظرة استقرائية لمؤلفات البشير الإبراهيمي وآثاره، ومختلف الجهود التربوية والتعليمية التي ميزت حياته محاضرا ومدرسا وخطيبا.

إبراز مكانة الإمام الإبراهيمي كمفكر جزائري مسلم له رؤيته التربوية، والتي ساهم من خلالها مع جهود العديد من العلماء أمثاله على غرار الإمام ابن باديس رحمة الله عليهما في العمل على النهضة بالأمة الجزائرية، معتبرين أن التربية والتعليم هما الأداة الأساسية لأي أمة ابتغت تخليد اسمها في ذاكرة الإنسانية ومسار التاريخ. وبذلك انصبت جهودهما الإصلاحية في هذا المجال بالأساس.

3.1. الدراسات السابقة: بالنسبة إلى الدراسات السابقة التي تتطرق إلى موضوعي التربية والتعليم عند الإبراهيمي فهي قليلة خصوصا المتخصصة في هذا الموضوع، ما عدا بعض الرسائل التي تتطرق إليه جزئيا أو بعض المقالات التي تتطرق إلى رؤية الإمام في موضوع التربية بصفة عامة. وأهم تلك الدراسات ما يلي:

الدراسة1: "الفكر التربوي عند محمد إقبال و محمد البشير الإبراهيمي دراسة مقارنة" أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم التربية، إعداد الدكتور بيبي مرزاق ، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية و الأرطوفونيا، السنة الجامعية: 2007/2006م. تطرق الباحث إلى أهمية التربية ومبادئها عند المفكرين، متسائلا عن كيفية إصلاح الواقع التربوي والتعليمي ومواجهة التعليم الأجنبي والعربي، مبرزا نقاط التشابه و الاختلاف بين فكر الإبراهيمي و محمد إقبال.

معتمدا الباحث منهجا تاريخيا مقارنا، موظفا المنهج التاريخي الوصفي لوصف واستعراض الأحداث التاريخية التربوية والثقافية، أما المنهج المقارن بهدف المقارنة بين أعمال الرجلين وأفكارهما التربوية وأسلوب معالجتهما لمختلف القضايا.

أما بالنسبة إلى أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة تتمثل في كون الفكر التربوي لدى الإبراهيمي ومحمد إقبال يمثل خلاصة ما يهدف إليه العالم الإسلامي اليوم بحثا عن شروط نهضته، ذلك أن أهم ما دعوا إليه ينحصر في فكرة أساسية مفادها أن العالم الإسلامي يعاني من تخلف وضعف على جميع الأصعدة والسبب الأول في ذلك الإستعمار وما فرضه على الشعوب العربية والإسلامية من جهل وتخلف من جهة، ومن جانب آخر فالمؤسسات والمراكز التعليمية التقليدية التي تسير على أنماط تقليدية ساهمت في قتل المواهب. وبذلك فلا بد من بعث ذاتي جديد حتى يتم الخروج من هذا التخلف، من خلال إحداث ثورة في الأساليب التعليمية السائدة و أن محاربة الإستعمار يكون بتحرير العقول و ثورة التربية شرط لكل ثورة.

ويتفق إقبال مع الإبراهيمي على ضرورة إصلاح العلماء وتطهير سريرتهم ليكونوا في مستوى الأمانة التي كلفوا بها، حتى يكتب للإصلاح التربوي النجاح فتصحح النظرة للحياة التي عمل الاستعمار على نشر مفهوم خاطئ لها. إذ يسعى كل منهما إلى تربية متوازنة تجمع بين الأخلاق والعلم.

الدراسة 2: "التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي". عبد القادر فضيل ، مقال منشور بالعدد الثاني عن مجلة الوعي الصادرة عن دار الوعي الجزائر العاصمة ذي القعدة 1431 هـ الموافق ل نوفمبر 2010م.

تطرق الباحث فيه إلى دراسة تحليلية للمنهج التربوي الذي خطه لجمعية العلماء وعالج من خلاله مسائل التعليم، مبرزا مفهوم الإبراهيمي للتربية وتضمنه للتعليم، إضافة إلى العناصر المشكلة لمنهجه التربوي بداية من النظرة الشاملة لقضايا التربية والتعليم إلى تربية الفكر في مشروعه التربوي حيث يكون التعليم مسؤولية الأمة ككل. موضحا المدرسة التي يتطلع إليها الإبراهيمي مبرزا في الأخير أهم الغايات التربوية التي تسعى رؤيته إلى تحقيقها.

أهم النتائج المتوصل إليها في هاته الدّراسة أن التربية عند الإبراهيمي ركزت على بناء جيل كفيل بتحقيق النهضة الجزائرية، من خلال بناء مدرسة ذات تعليم إسلامي عربي يضمن للأمة الحفاظ على مقوماتها التاريخية، ويساير من جانب آخر العصر في قوته ونظامه. إضافة إلى الأساس الأول لتحرير الجزائر وشعبها عقلا و أرضا لا يكون إلا من خلال التركيز على التربية والتعليم لذلك كان سعي الإبراهيمي مع جمعية العلماء المسلمين إلى بناء فلسفة تعليمة كفيلة بتنشئة جيل قادر على ذلك.

الدراسة 3: "الإبراهيمي ورسالته التربوية " محمد فاضل الجمالي (الجامعة التونسية (العراق)) وهي بمثابة شهادة على لقائه بالشيخ الإبراهيمي و اعتراف بالجهود التربوية الكبيرة التي كان يبذلها الإمام في حقل التربية والتعليم. مقدما مقتطفات من رسالة قدمها له حول الوضع التربوي في الجزائر.

ونتائج هده الدراسة تتمثل في التوصل من خلال نص الإبراهيمي. أن رسالته رسالة إيمان وعلم وتحرير للشعب الجزائري. وأن إنشاء المدارس وإرسال البعثات العلمية للمشرق العربي بهدف النهل من معين الثقافة العربية الإسلامية. مؤمنا بأن التربية العربية الإسلامية هي السّلاح الماضي في مكافحة الاستعمار بكل أنواعه وأساليبه. ما يفسر توجه جل جهود الإبراهيمي وكفاحه في ميدان التربية والتعليم أكثر من توجهها إلى المجالات الأخرى.

بالنسبة للدراستين(2 و3) منشورتين ضمن عدد خاص من مجلة "الثقافة"، الجزائر، السنة الخامسة عشرة، العدد: 87، شعبان، رمضان 1405هـ/ مايو، يونيو 1985م. وهو عدد حافل بالمقالات الفكرية والأدبية التي تحدثت عن الإمام الإبراهيمي، والمسطرة بأقلام عدد من تلاميذه وعارفيه من الجزائريين وغيرهم. أعيد طبع العدد ضمن كتاب باسم "الشيخ البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه" صادر عن دار الأمة سنة 2012.

الدراسة 4: "التربية والتعليم عند الإمام البشير الإبراهيمي" رسالة ماجستير في فلسفة التربية للباحث صاحب هذه الدراسة، تطرق من خلالها إلى منهج الإمام الإبراهيمي في التربية والتعليم ومختلف الغايات التي يهدف إليها، غير أنها لم توضح جيدا مفهومه للتربية و التعليم خصوصا، هذا ما شكل ثغرة في البحث وتوجب التعمق في تحليل العلاقة أكثر.

معتمدا الباحث على المنهج الوصفي لأنه يستهدف الوصف والتحليل والتفسير، باعتبار الدراسة تحاول استخلاص الفكر التربوي للشيخ الإبراهيمي تحليله وتفسيره والوصول إلى نتائج عن موضوع الدراسة، إضافة إلى المنهج المقارن لمقارنة رؤيته ببعض الرؤى الحديثة والمعاصرة في التربية. مع العودة للمنهج التاريخي خصوصا في الفصل الأول الذي كان فصلا تاريخيا بنسبة كبيرة.

أما بالنسبة إلى نتائج الدراسة فقد توصل الباحث إلى أن التربية شكلت عند الإبراهيمي أساس النهضة لأي مجتمع، وأن رؤيته التربوية التعليمية جمعت بين راهنية الطرح بما يتناسب مع خصوصية الواقع والظرف الجزائري آنذاك، رابطا إياها أيضا بمستجدات الحياة التربوية الحديثة.

إعادة الاعتبار للدين الإسلامي في التنظير التربوي، بقراءة صحيحة له تتضمن تطبيق تعاليمه السمحة الصالحة لكل عصر ومصر، فهو من بين أفضل الوسائل لضمان الامتزاج الروحي بين أفراد المجتمع الواحد. خصوصا في عصر يحتاج الى تنمية البعد الروحي نظر لطغيان البعد المادي في حياة البشر.

1. 4. التعليق على الدراسات السابقة: شكلت هذه الدراسات أهمية بالغة في إبراز معالم الفكر التربوي والتعليمي لدى الإمام الإبراهيمي من خلال تسليط الضوء على رؤيته وجهوده التربوية ومنهجه في ذلك. وإن دلت على شيء إنما تدل على مدى الزَّخَم الفكري لدى الإبراهيمي ومدى بصيرته في مجالي التربية والتعليم. غير أن الفكر التربوي الإبراهيمي وبالخصوص مفهومه للتربية والتعليم يحتاج إلى دراسة وتحليل معمقين، حتى تتضح رؤيته ومفهومه الدقيق لهما. هذا ما شكل ثغرة انطلق منها الباحث للتطرق إلى هذا الموضوع، ولتحليل العلاقة القائمة بين المفهومين من خلال استقراء واستقصاء آثار الإبراهيمي وتحليل مضمونها.

ومنه فالدراسة الحالية ترتبط بالدراسات السابقة وتحاول التعمق أكثر في تحليل المفهوم وتوضيح العلاقة أكثر حتى يتضح للقارئ مدى عمق الرؤية الإبراهيمي التربوية ووضوحها لديه، ما يكشف جانبا من جوانب سرّ نجاح معظم المساعي التعليمية التي قادها وجمعية العلماء، ما يسمح بالنّهل منها في الدّراسات الحاضرة وصياغة مناهج وبرامج تربوية تعليمية تتناسب وخصوصيات الواقع الجزائري.

1. 5. منهج البحث: بهدف البحث في إشكالية الدراسة تم الاعتماد على منهج تحليل المحتوى، من خلال تحليل رؤية الإبراهيمي التربوية وتتبع آثاره، مركزة الدراسة بمنهجها على تحليل رؤيته وتوضيح مفهومه لكل من التربية والتعليم. وتحديد العلاقة التي يُقيمها بينهما.

2. تحديد مفاهيمي للتربية و التعليم:

1.2. مفهوم التربية: التربية لغة ترجع إلى الفعل رَبَّ، وربَّ (الأمر) يَرُبُّه رَبًّا و رِبَابَةً: أصلحه و مَتَّنَهُ. ورَبَّ الدُّهن: طَيَّبَهُ وأَجَادهُ. و رَبَّ القوم: ساسهم أي كان فوقهم، ورَبَّ الشيء: ملكه. وتنقسم (ربَّ) إلى ثلاثة أقسام حسب الأنباري، القسم الثالث منها

بمعنى أصلح، و الرَبُّ هو المصلح، و ربَّ ولده و (الصَّبيَّ) يَرُبُّه رَباً (رَبَّاه) أي أحسن القيام عليه و وليه حتى أدرك ، أي فارق الطفولة ، كان ابنه أو لم يكن و في الحديث « **لك نعمة تَرُبُّهَا أي تحفظها و تراعيها و تربّيها كما يربّي الرجل ولده**.» (الزبيدي, محمد مرتضى الحسيني، 1408هـ- 1987م، صفحة 463،464). أما في اللّغات الأجنبية (Education) ترجع إلى الأصل اللاتيني والتي تدل على فعل التربية بمعناه الأولي. وأصله مشتق من كلمتين لاتينيتين: الفعل (Educare) بمعنى يغذي، والفعل (Educere) بمعنى استخرج، وفيما بعد أصبحت كلمة (Education) تعني إعداد الطفل ذهنيا ونفسيا وعقليا من مستوى الدلالة البيولوجية إلى مستوى الدلالة النفسية والعقلية. (نقيب, عمر، 2018، صفحة 56، 57)

من الناحية الاصطلاحية تعددت تعاريف التربية على حسب الفلسفات التربوية و الاستعمالات لها، وقد عبر «**رونيه أوبير R.Hubert**» عن صعوبة ضبط تعريف لها قائلا :" قد يبدو أن ليس من أمر سهل تعريف كلمتي تربية Education وبيداغوجيا Pédagogie و مع ذلك ما نكاد نقبل على هذا التعريف حتى تجابهنا منذ الخطوات الأولى بعض الصعوبات." (أوبير, روني، 1983، صفحة 21)

يعرّفها جميل صليبا بأنها تبليغ الشيء إلى كماله، أو هي كما يقول المحدثون تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا. ويقال ربيت الطفل إذا قويت ملكاته ونميت قدراته وهذبت سلوكه حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة. وتقول تربّى الرجل إذا أحكمته التجارب، ونشّأ نفسه بنفسه ومن شروط التربية الصحيحة أن تنمي شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية. (جميل صليبا، 1982، صفحة 266)

وفي المعجم الفلسفي لالاند تعني التربية مسار يقوم على تطور وظيفة أو عدة وظائف تطورا تدريجيا بِالدُّربة، وعلى تجويدها و إتقانها، هذا في المعنى العام لها، أما المعنى الخاص سلسلة عملية إجرائية يدرب بها الراشدون (الأهل عموما) الصغار من جنسهم ويشجعون لديهم نمو بعض النَزعات والعادات. (أندريه لالاند، 2001، صفحة 322، 323)

2.2. مفهوم التعليم: في لسان العرب علم الأمر و تعلّمه: أتقنه، وتقول علمت الشيء بمعنى عرَفتُهُ وخَبرتُهُ. وتقول عَلِمَ و فَقِهَ بمعنى أي تعلَّمَ و تفقَّه. وعلّمه العلم و أَعلَمَهُ إيّاه فتعلَّمَهُ، ويقال تَعَلَّم في موضع اعلَم. (ابن منظور، د.س، صفحة 3083)

والتعليم من مصدر علّم، فقولنا علّم الناشئة، لقنها الدرس و أعطاها المعرفة، والتعليم مهنة المعلم، وفي المعاجم المعاصرة هو: "(مساعدة شخصٍ ما على أن يتعلم كيف يؤدي شيئا ما) أو(تقديم تعليمات) أو(التوجيه في دراسة شيء ما) أو (التزويد بالمعرفة) أو (الدفع إلى الفهم و المعرفة.) " (دوجلاس براون، س1994، صفحة 25)

ويتعدد مفهوم التعليم هو الآخر بتعدد نظريات التعليم وتعدد الفلسفات التربوية. ففي المعجم الفلسفي لجميل صليبا Enseignement يعني التدريس، وهو مقابل للتّعلم، تقول علّمته العِلم فتعلّم. والتعليم أخص من التربية، لأن التربية تشمل نقل المعلومات إلى الطالب مع العناية بتبديل صفاته وتهذيب أخلاقه، والتعليم لا يشمل إلا نقل المعلومات بطرق مختلفة. ومفهوم التعليم يتضمن الحاجة إلى المعلم، على حين أن مفهوم التعلّم لا يتضمن ذلك لأن المتعلم يستطيع تحصيل العلم بنفسه، وربما كان استقلاله بطلب العلم أعمق تأثيرا في نفسه من أخذه من معلم. (جميل صليبا، 1982، صفحة 307)

كما يعني النشاط الذي يتم بموجبه تحويل المعلومات من شخص إلى آخر، يأخذ طابعَ نشاطٍ منظم هادف وواضح في مستوياته الفردية والإجتماعية والمدرسية. ففي الأسرة يعمل الأبوان على تعليم الأطفال كثيرا من المعلومات التي تتصل بالحياة. ويتضح مفهوم التعليم بصورة أفضل وأكثر تنظيما في المدرسة حيث يقوم المعلم بنقل المعرفة إليهم، ليتشكل الموقف التعليمي من المعلم، التلاميذ، المنهج، المادة التعليمية والأهداف المحددة. (علي أسعد وطفة، 2011، صفحة 54)

2. 3. المفهوم الإجرائي للتربية والتعليم: كمفهوم إجرائي لمفهومي التربية والتعليم يقدمه الباحث بما يتناسب وطبيعة الدراسة.

فالتربية تتمثل في مختلف الجهود والأساليب والوسائل التي يعتمدها العلماء والمربون والمصلحون بهدف تنشئة أجيال كفيلة بتحقيق طموحات الأمة وآمالها في التاريخ. ولا يتأتى ذلك إلا من خلال بناء تصور واضح من حيث المنطلقات والمناهج والغايات لأي رؤية أو مشروع تربوي تخوض الأمة غماره. فترتبط التربية في ذلك بوضوح الرؤية وتحديد الأهداف المنشودة. إضافة إلى الأخذ بعين الاعتبار ما هو موجود من مقومات وخصوصيات المجتمع، حتى لا تكون التربية والتعليم غريبتين عن مختلف الإحداثيات الخاصة به. بهدف النجاح في تطبيقها فيتقبل أفراد الأمة هذه التربية ويقبلون عليها، ويربطها من جهة أخرى بتطورات العصر.

أما التعليم فيرتبط بالتربية كونها شاملة له وكونه يشكل وسيلة لتحقيق أهدافها. لذلك يتمثل التعليم في تمكين المتعلمين من الإحاطة بمختلف المعارف التي يحتاجونها في حياتهم. ودفعهم إلى التعلم وإرشادهم في ذلك بمختلف الوسائل. ويرتبط بالمدرسة غالبا وبمختلف المؤسسات التعليمية في المجتمع من مساجد ونوادي وغيرها من المؤسسات التعليمية.

ومنه لا يقتصر مفهومي التربية والتعليم على رؤية ضيقة في تربية أو تعليم فئة معينة وتغيير سلوكها فقط بل لهما مفهوم واسع ليشمل المجتمع ككل.

3. مفهوم التعليم عند الإمام البشير الإبراهيمي. بعد التحديد المفاهيمي لكل من التربية والتعليم يشرع الباحث في تحديد مفهومهما لدى الإمام البشير الإبراهيمي.

فالتعليم عند الإمام البشير الإبراهيمي يعد عملية نقل لمختلف المعارف والمعلومات من المعلمين والمربين إلى المتعلمين. هذا ما تترجمه توجيهاته وممارساته التعليمية. ويتضح كذلك من خلال تحديده لبعض أهداف التعليم بأن ينقل المعلمون للمتعلمين تاريخهم ويعرفونهم به، وينقلون الدين الإسلامي وفِقهِه لهم، ومختلف العلوم الأخرى التي تفيدهم وتعرّفهم بما يجهلونه. (محمد البشير الإبراهيمي، 1997، صفحة 507، ج3).

تنحصر هاته الرؤية للتعليم في عملية تلقين المعارف من المعلم إلى المتعلم هذا الأخير الذي يكون متلقيا سلبيا فيها، من منطلق أنه يتلقى فقط دون أن يكون إيجابيا فعالا في هذه الممارسة التعليمية، فالتعليم من هذا المنظور عملية نقل معارف لا أكثر، وقد طغى ذلك على أبجديات التعليم الكلاسيكي. أو ما يعرف في أدبيات علوم التربية بالتعليم عن طريق المحتوى أين يكون المعلم محور التعليم و أساسه. والهدف من هذه العملية يتلخص في نقل محتوى تعلمي معين للمتعلم.

غير أن الإمام البشير الإبراهيمي يتجاوز المفهوم التقليدي للتعليم الذي غالبا ما انتقده مبرزا سلبياته و مضارّه على التربية والتعليم. فقد كانت هاته الطريقة القديمة منتشرة في المؤسسات التعليمية الإسلامية العربية، سواء في المساجد نظرا لدورها التربوي التعليمي ناهيك عن التعبدي، أو بالنسبة إلى المدارس الابتدائية والثانوية. إضافة إلى ما ميز الدراسات العليا آنذاك كما هو الحال في جامع الزيتونة أو الأزهر باعتبار أن معظم بعثات الطلاب الجزائريين كانت تواصل دراساتها العليا في هذين القطبين، أين بقي التعليم فيهما رهينا للتلقين والنظم القديمة من حيث البرامج أو المناهج. يصفه الإمام الإبراهيمي بالنظام البالي المتآكل الذي تجاوزه الزمن، ما يتطلب إقامة ثورة إصلاحية شاملة لمناهجه وبرامجه ومختلف المؤلفات المعتمد عليها في التعليم. فإذا صلح التعليم في كل مناهجه وأساليبه سينتقل الإصلاح لا محالة إلى العقول. فالمسار الإصلاحي في التعليم يبدأ من الكتب وينتهي إلى العقول والأنفس شاملا ما بينهما من مختلف النظم والطرائق المعتمد عليها.

يبين الإبراهيمي ذلك قائلا: " ما زلنا نبرأ بجامعاتنا أو - جوامعنا التاريخية - أن تبقى جارية على التقليد البالي في مناهجها وكتبها، وأن ترضى لنفسها هذا الجفاف في الزمان المُمَرَّع، وهذا التَمَطي في العصر المسرع، وما زلنا نرجوا له - مخلصين - إصلاحا شاملا، يعقبه صَلَاح كامل، يبتدئ ذلك الإصلاح من الكتب وينتهي إلى العقول، ويجرف ما بين الطرفين من أوضاع من النظم بالية، و أوساخ من الأذهان عالية." (محمد البشير الإبراهيمي، 1997، صفحة 409، ج3).

فمقالات الإمام الإبراهيمي ومحاضراته تظهر أنّه لم يكن معلّما عاديا ممن يعتبرون أن التعليم مجرد عملية تلقين للمعارف، كما استشرى في فاهمة أغلب المعلمين في أيّامه، بل على النقيض من ذلك كان يمتلك نظرة خاصة إلى قضايا التعليم وإلى رسالة المعلم وأبجدياتها. والمقارنة بين ما هو معتمد اليوم وبين رؤيته، يبين أنه تطرق إلى موضوعات لم يكن قد تُطُرّق إليها آنذاك. (جيلاني ضيف، 2013، صفحة 98). وبذلك يمثل موقفه من التعليم ثورة مفاهيمية وممارساتية على ما كان سائدا من طرائق في التعليم العربي. من خلال تركيزه وربطه بين مختلف الحلقات المشكلة للمنظومة التربوية والتعليمية بصفة عامة، من العامل البشري المعلم والمتعلم، إلى الجانب المعرفي ومختلف الوسائل المادية والطرائق والمناهج الكفيلة بتأسيس تعليم متقدم ناجح.

فالتعليم من منظور الإبراهيمي إذن عملية متكاملة الأطراف، لا تقتصر على تلقين المعارف للمتعلم فقط، بل عملية متواصلة يتداخل فيها دور كل من المعلم، المتعلم والمعرفة. مع الارتباط بالمتغير الخارجي الحاصل على المعارف والمعلومات لا الإرتهان إلى معارف يغلب عليها طابع الجمود نظرا لعدم ربطها بما استجد وتَغير، وإصلاح ما تقادم منها، فهو يركز على ضرورة الانطلاق من قاعدة وأساس صحيحين في التعليم ، لأن صحة المنطلق تمثل عاملا مهما في تحقيق الأهداف المراد تحقيقها. إضافة إلى التركيز على النظرة التكاملية والشمولية للعملية التعليمية في مختلف أطوارها من التعليم الابتدائي إلى الثانوي وصولا إلى مرحلة الدراسات العليا، لا التركيز على طرف وإهمال أطراف أخرى. إذ يجب أن يكون التعليم في نظر الإمام الإبراهيمي:

"كاملا في جميع مراحله، يبنى على أساس صحيح في المرحلة الابتدائية، وصحة الأساس تكون بالمعلم الكفء، والكتاب الوافي، والبرنامج الكافي، ثم ينتقل إلى الدرجتين الثانوية والعليا. فالأمة تريد تعليما عربيا يساير العصر وقوته ونظامه، لا تعليما يحمل جراثيم الفناء، وتحمله نذُر الموت." (محمد البشير الإبراهيمي، 1997، صفحة 283، ج3).

وبناءً على ذلك تشترط عملية التعليم من منظوره الكفاءة لدى المعلّم:

- كفاءةً معرفية: بأن يكون ملما بالجانب المعرفي الذي يدرسه، سواء ما تقادم من معلومات وطرائق وغيرها أو ما استجد منها خاصة لمسايرة مختلف التطورات العلمية والمعرفية.
- كفاءة سلوكية ومهنية: من خلال الكفاءة في التعامل مع المتعلمين والتفاعل معهم والإحاطة بمختلف جوانب شخصيتهم. واكتساب كفاءة الضمير والحِس بأن يكون مدركا لمدى أهمية وحساسية الدور الذي يقوم به، فهو ليس وظيفة مثل الوظائف الأخرى.

إضافة إلى ذلك يؤكد الإبراهيمي على إقامة كتاب " وافي " يكون شاملا لمختلف ما يحتاجه المتعلم من جوانب معرفية ومنهجية حتى تتحقق صفة الوافي فيه. أو أن يمهد ويحفّز المتعلم للبحث عن المعرفة ويحدد له وسائلها. ويرتبط ذلك أيضا ببرنامج يتصف بخاصية الكفاية في نظر الإمام أي أن يكون شاملا وكافيا لما يُراد تعليمه من مقررات ودروس في كل مرحلة تعليمية معينة. فالتعليم الذي يقصده يتمثل فيما ما يمنح للمتعلمين من كفاءات، أو بالأحرى ما ينقل المجتمع في تلك الفترة من نظام الأموات إلى نظام الأحياء، فَيُحْيُي ما قتله الاستعمار فيهم. من وعي وفكر وأخلاق وكل ما يتعلق بمقومات الشخصية الوطنية الجزائرية. باعتبار أنه لا حياة إلا بالمعرفة وبالعلم. وكأن التلقين في نظر الإبراهيمي عبارة عن جرثومة و فيروس استشرى في التعليم لا بد من مكافحتها وإلا انتقل أثره السلبي إلى الأجيال اللاحقة نظرا لما يتم تلقينه، خصوصا المعارف غير الصحيحة أو المخالفة لمقومات الأمة وجذورها الضاربة في التاريخ. فالتأسيس لتعليم صحيح في مبناه وأهدافه كفيل بتفادي فناء الأمة.

وما يظهر البُعد المفاهيمي المعاصر للتعليم لدى الإمام الإبراهيمي انتقاد العلاقة التعليمية بين المعلم والمتعلم، والتي كانت قائمة على نوع من التسليم الأعمى والتلقين، دون روح للمناقشة أو النقد و الإبداع فقد كان المعلم يسلم لما هو موجود في الكتاب و المقرر، و يسلم الطالب و يتلقى ما يقول معلمه. والعلاقة القائمة بينهما تقوم على التلقين والتسليم. فينتج بذلك

متعلمون يقومون بالحفظ، التكرار والممارسة بهدف إعادة إنتاج ما تلقوه من معارف لا بهدف بناء معارف جديدة أو تقديم حلول للمشكلات.

يوضح الإمام الإبراهيمي ذلك في تشخيصه لهذا الداء الذي أبتلي به التعليم العربي قائلا: "كان العِلمُ إلى ما قبل النهضة مباشرة عبارة عن أقوال يسلمها الشيخ لكتابه، و يسلمها التلميذ لشيخه، فإذا استقامت تراكيب الكتاب و أفادت معنى صحيحا لم يكن في ذهن الشيخ قوة على التماس الدليل، و لم يكن من حق التلميذ أن يطالبه بالدليل، إذا تاقت نفسه إلى الكمال بمعرفة الشيء بدليله، أو انقدح في نفسه خاطر من شك في صحة تلك القضية فأراد أن يطرده بالدليل." (محمد البشير الإبراهيمي، 1997، صفحة 147، ج1) معقبًا عبد المالك مرتاض على ذلك بأن الشيخ (المعلّم) يسلم لكتابه ما يقول، والطالب يسلم لشيخه ما يقول، فكانت الصلة التعليمية قائمة بين هذه الأطراف الثلاثة على شيء من الانصياع الأعمى ... فلا الشيخ كان قادرا على مناقشة كتابه الذي كان يستمد منه معارفه التي يبثها بين طلابه، و لا طلابه نتيجة لذلك، كانوا قادرين على مناقشة شيخهم فيما يقرره لهم من تلك المعارف المَمجُوجة، فكان الجمود الفكري هو السائد في التعليم الأصلي في الجزائر قبل ظهور الحركة الإصلاحية. (عبد المالك مرتاض، 1984، صفحة 27).

فالمفهوم الضيق والقديم للتعليم المنحصر في التلقين والتسليم كان سببا فاعلا أيضا في المرتبة المتدهورة والمتذيلة التي بلغها التعليم في الجزائر، بغض النظر عن الفاعل الأكبر المتمثل في التضييق الاستعماري ومحاربته لكل تعليم عربي إسلامي. وإلى تأخر النهضة و الثورة لدى المجتمع الجزائري لأن عقله استكان للتلقين و ما شاع من خرافات وآراء غير صحيحة.

كما شكل هذا التسليم والتلقين بابا ومنفذا واسعا دخلت منه مختلف الخرافات والمبالغات السخيفة والآراء المضطربة إلى المجالس العلمية، فأصبحت جزءا من العلم، فلم يُمَيز بين صحيحه و كاذبه، ما ساهم في الفتك بكثير من عقول المعلمين والمتعلمين في نظر الشيخ الإبراهيمي، وأدى إلى ارتخاء وفتور الملكات العلمية، مما استحال إلى انحطاط في العلم وقد يتمادى ذلك فيستحيل إلى موت و عدم. (محمد البشير الإبراهيمي، 1997، صفحة 147، 148، ج1)

فالتلقين والانقياد الأعمى يؤسسان ويجعلان من الشائع حقيقة متداولة بين المتعلمين وبين عامة الناس. بين المتعلمين الذين لم يمتلكوا بعد الأداة والوسيلة النقدية التي تمكنهم من دحض المعارف الخاطئة أو تصحيحها من جانب، و من جانب آخر لأنهم تلقوها من طرف معلميهم على أنها حقائق غير قابلة للنقد و المناقشة. أما بين عامة الناس فمن منطلق تسليمهم بالشائع و إيمانهم به، فتتوارث لدى الأجيال اللاحقة بطابع تلقيني مختلف المعارف، ومحاولة التشكيك فيها من طرفهم يعدّ انتهاكا لحرمة العلم و قدسيته. فبدل أن يؤسس العلم والمعرفة لفلسفة متجددة، لعقل متجدّد مستنير أو مَلَكَةٍ علمية لإنسان يمتلك أدوات المعرفة. يؤسس الشائع على النقيض نتيجة غياب النقد ل: عدمية جديدة من منظور الإمام الإبراهيمي. ومنه لا بد من إعادة بعث سؤال النقد وتوجيه الأنظار صَوبَه من خلال الثورة على الميثولوجي والشائع. ولا يكون إلا من خلال الثورة على أساليب التلقين والطرق القديمة التي وضعها الزمن ضمن رفوف النسيان، والعمل على إحداث دينامية جديدة في مجالي التربية والتعليم من خلال اكتساب وسائلهما.

يوضح جيلاني ضيف في تعقيب له على مفهوم التعليم عند الإمام الإبراهيمي بأن "التعليم ليس غاية في ذاته، وتلقين المعارف والعلوم للنشء وتمكينه من القراءة والكتابة لا يمكنه أن يكون حلا لمشاكل الشعب الجزائري، فالغاية من التعليم تمكين الفرد من أدوات المعرفة التي تجعله يعي حقيقته ويقف على علاقاته مع مجموعته ومع الإنسانية ككل ". (جيلاني ضيف، 2013، صفحة 98)

وكخلاصة مفاهيمية للتعليم عند العلامة محمد البشير الإبراهيمي، يتضح أن التعليم ليس عملية مقتصرة على نقل معارف وتلقينها، بل هو عملية تتجاوز التلقين إلى البناء. والإلقاء إلى التكوين. كعملية متكاملة من حيث الأدوار والوظائف تجمع بين

المعلّم، المتعلم و المعرفة وتتعداها إلى المتغير الخارجي الواقعي وما يفرضه من مستجدات علمية واجتماعية واقتصادية، ولا يقتصر التعليم بذلك على الجانب المعرفي فقط بل يتجاوزه إلى البعد النفسي والروحي والأخلاقي. ما يبرز محاولة الإمام الإبراهيمي تأسيس فلسفة تعليمية سبقت زمانه وتجاوزت ظروف واقعه، نظرا للترابط الكبير بين ما يركز عليه الإمام الإبراهيمي في رؤيته للتعليم وما تؤكده مختلف النظريات التعليمية و التربوية المعاصرة.

والرؤية الإبراهيمية للتعليم تظهر مدى ارتباط هذا الأخير بمفهوم التربية إذ لم يقتصر على الجانب المعرفي بل تعداه إلى جوانب أخرى تربوية تتعلق بإصلاح الفرد وتنشئته، هذا ما يفسر إلى حد بعيد ربط التعليم بالتربية وجعله تابعًا لها.

4. مفهوم التربية عند الإمام البشير الإبراهيمي.

يرتبط مفهوم التربية بمفهوم التعليم عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، من خلال ما أبرزه التداخل بين الوظيفتين في تحديد مفهوم التعليم، غير أن هذا الأخير يعد جزءً أو وسيلة لتحقيق غايات تربوية. فيعدّ التعليم لاحقا بالتربية مفهوما و وظيفة، باعتبار أن التعليم في فحواه يتضمن مفاهيم و أبعاد تربوية معرفية، خاصة من حيث التكامل الوظيفي وتعليم مختلف القيم الأخلاقية، ويعدّ بذلك وسيلة أساسية تساعد على تحقيق الغايات والأهداف التي تنشدها التربية في انتقالها من الموجود إلى المنشود.

فالتربية عند الإمام الإبراهيمي عملية إعداد الفرد وتهيئته ليقوم بدوره داخل أمته، التي تنتظر منه أن يكون فاعلا ومؤثرا فيها. وهي سعي إلى خير الفرد، ومنه إلى خير المجتمع الذي ينتهي بخير الأمة، وبالتالي تحقيق السعادة الحقيقية، والتي لن تقوم أو تفيد ما لم تقم على التربية السليمة والتعليم الحقيقي. (جيلاني ضيف، 2013، صفحة 98، 99)

يربط الإمام الإبراهيمي مفهوم التربية بالجانبين المعرفي والعلمي والعمَلي، مؤكدا على ضرورة التركيز على الجانب العملي فيها لا الاهتمام بالنظري فقط، فلا تقوم التربية إلا إذا ترجمت المعارف والعلوم إلى ممارسات عَمَلية تظهر نتائجها على أرض الواقع، جامعة بين النظري والتطبيقي، بين الروحي والمادي، فهي تربية تجمع بين منطق الفكر ومنطق المادة. وهي سبيل للنهضة بالأمة من خلال توجيهها نحو الشباب بصفة أكبر، معتبرا الشباب المحور الأساسي الذي تستثمر فيه التربية، وهو العامل الأول الكفيل بنقل الأمة من دياجير العبودية التي فرضها الإستدمار إلى أنوار النهضة والتحرير. إذا نَشأَ الشباب على تربية علمية وأخلاقية صحيحة. تمكنه من تولى زمام القيادة بالعلم لبناء مستقبله بذاته لا بذوات أخرى. فالتربية عملية متسلسلة وشاملة تبدأ من الفرد وتنتهي إلى المجتمع ككل. من منطلق أن تربية الفرد، تربية للمجتمع و للأمة بصفة عامة.

يتحدد ذلك في قول الإمام الإبراهيمي: " إن شباب الأمة هم الدّم الجديد في حياتها، فمن الواجب أن يصان هذا الدم عن أخلاط الفساد، ومن الواجب أن يتمثل فيهم الطهر والفضيلة والخير، ومن الواجب أن تربى ألسنتهم على الصدق وقول الحق، هذه الطلائع التي هي آمال الأمة، ومناط رجائها، والتي لا تُحقق رجاءَ الأمة إلا إذا انقطعت إلى العلم وتخصصت في فروعه، ثم زحفت إلى ميادين العمل مستكملة الأدوات تامة التسلح، تتولى القيادة بإرشاد العلم، وتحسن الإدارة بنظام العلم، فتثأر لأمتها من الجهل بالمعرفة، ومن الضعف بالقوة، ومن العبودية بالتحرير." (محمد البشير الإبراهيمي، 1997، صفحة 68، ج3)

ونفس الرؤية يؤكدها شكري فيصل في مقاله: " قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي" إذ يعتبر أن مفهوم التربية عند الإمام الإبراهيمي يتضح عندما يضع بجواره مصطلحي العلم والعمل كأساسين من أسس التربية، فتبدأ هذه الأخيرة بالشباب الذي يعلق عليه الأهمية الكبرى. (شكري فيصل، 2012، صفحة 177)

فالتربية مهمة و وظيفة عِلميّة عَمَلية لا نظرية فقط، فتحقيق غايات التربية لا يكون بتقديم معارف وتأملات ذهنية فقط، بل لا بد من إعطاء البعد العملي والعلمي لها، لأنه الكفيل بإظهار نتائج التربية، فتظهر الحركة والصيرورة مقابل السكون النظري، ومنه كان التأكيد على تصيير النظري إلى ممارسات عملية لدى الإبراهيمي.

كما تتسع التربية لعدة مفاهيم وتشمل عدة وظائف من منظور الإمام الإبراهيمي، فهي فعل يحافظ على الفطرة السليمة التي جُبل عليها الإنسان، فتحافظ بذلك على فطرة الشاب الجزائري المرتبطة بقيمه الوطنية، وهي تربية تتوافق مع مقومات شخصيته الوطنية فتحافظ عليها. عندما أكد الإمام الإبراهيمي على ضرورة أن تصان عقول وأفكار شباب الأمة اللذان يمثلان – دمه- من أخلاط الفساد فهي تحميه مما يفسد فطرته، وتُقَوِّمُ وتصلح ما زاغ منها.

والتربية فعل يقود الإنسان إلى الفضيلة والخير ويحفظ فطرة الإنسان السليمة، كالصدق وقول الحق والوقوف معه إلى غير ذلك من الفضائل. إذ يقودنا هذا التعريف إلى جانب من الرؤية الأفلاطونية للتربية. إذ الهدف من التربية هو إصلاح الفرد والمجتمع والوصول إلى معرفة الخير، وتنمية هذه المعرفة وطبع النفس الإنسانية على الحق والخير والجمال، وتدريب الفطرة الأولى للطفل على الفضيلة من خلال إكسابه العادات المناسبة. فالتربية عملية تدريب تشمل مجهودات الجيل القديم لنقل العادات الطيبة وحكم الحياة للأجيال اللاحقة. (عمر محمد التومي الشيباني، 1971، صفحة 32، 33).

كم لا تتمثل التربية هي الأخرى في حشو ذهن المتعلم بكثرة المعلومات والمواعظ التي سرعان ما ينساها، بل التربية الحقة هي التي يعيش الفرد من خلالها الواقع، فهي مرتبطة بالحياة وهادفة إلى إعداد وتكوين الإنسان الفاعل في الحياة، وبذلك فهي عملية معقدة مركبة الأجزاء لا يمكن فصل أي جزء منها عن الآخر، تسعى إلى إعداد الإنسان الذي يحسن فهم الأشياء ويحسن الحكم عليها، وبذلك يفهم معنى الحياة، فيحسن تحليل أمورها. (بيبي مرزاق، 2006-2007، صفحة 64، 65).

وإن أكدت نظرة الإمام الإبراهيمي مرارا على أن التربية لا تكون إلا باجتماع ثنائية العلم مع العمل مثلما تبين سابقا، فإنه يؤكد على ثنائية أخرى تمثّل في حقيقتها كُلّا واحدا لا تكون التربية إلا به، من خلال مراعاة التوافق بين النمو العقلي والنمو الجسمي لدى الإنسان، بين تكوين الإنسان الروحي والبدني، فيجب أن تقوم وتراعي التربية النمو العقلي والجسدي، فلا يغلب مثلا الاهتمام بالجانب العقلي على حساب الجسدي في مرحلة لم يكتمل فيها بعد نمو العقل، كأن يُعلَّم الطفل معارف لا يستطيع عقله استعابها وفهمها، أو نهمل الاهتمام بالتكوين الروحي له مركزين على الجانب البدني، فنربي فيه حب الماديات مقابل النفور من الروحيات. إضافة إلى ضرورة مراعاة نفسية المتربي وميوله أثناء العملية التربوية والتعليمية، كنمو إحساساته وتقلبات مشاعره وأحواله. إذ يُفهم من هذا أن كل مرحلة زمنية من عمره، وكل جانب من جوانب شخصيته إلا وله تربية خاصة تتلاءم معه.

إن هذا التوافق أكثر ضرورة في مراحل العمر الأولى، أو العقد الأول من العمر بتعبير الإمام الإبراهيمي، بينما في العقد الثاني من عمر الطفل فيركز على الجانب الروحي والمعرفي أكثر. أين تنموا إحساساته وتتسع مداركه، ويزداد نشاطه و إقباله على الحياة، فيربى على قيم الفضيلة والعلم مما يزيده شغفا بالمعارف، ومما يساعده في توجيه سلوكه والتحكم فيه، وفهم المتغيرات الحاصلة على جسمه وانعكاساته على نفسيته وسلوكه. فالعملية التربوية بأهدافها، طرقها ومناهجها يجب أن تكون مناسبة لمرحلة النمو التي يمر بها الطفل أو التلميذ.

يؤكد الإبراهيمي على ذلك التوافق والتدرج في تربية الطفل عند اجتيازه العقد الأول من عمره بقليل بقوله: " أن يكون غذاؤه العقلي مسايرا لغذائه الجسمي، ويكون تكوينه الروحي جاريا مع تكوينه البدني في عنان واحد، ويكون نمو مداركه العقلية بالعلم والمعرفة مقارنا لنمو إحساساته النفسية بالطبع والفطرة. فيتلقى في العقد الثاني من عمره – وهو عهد الإحساس بجمال الحياة – مُزودًا بإحساس آخر، وهو الإحساس بجمال العلم وشرف الفضيلة والدين، ويتلقى هذا العهد الذي هو أيضا، عهد النزوات وتَنَبُّه الغرائز الفطرية، مسلّحا بما يدفع غوائلها، ويشذب زوائدها، ويهذّب حواشيها." (محمد البشير الإبراهيمي، 1997، صفحة 109، ج2)

فالتربية لا تكون دفعة واحدة من لحظة الطفولة إلى النضج، ولا من لحظة الميلاد إلى الشيخوخة، بل تكون جارية ومسايرة لارتقاء ملكات الفرد وتطور تفكيره، فهي تتبنى تسلسلا زمنيا و نَمائِيًا، عمرا زمنيا مساويا لمسار حياة كل إنسان، بل ما التربية في حقيقتها إلا حياة الإنسان.

يتضح أن مفهوم التربية لدى الإمام الإبراهيمي شامل لعديد المعاني التي يقدمها المختصون في حقل التربية والتعليم، خصوصا المفاهيم الحديثة والمعاصرة، والتي ركزت على الإنسان بمختلف أبعاده العقلية والنفسية والجسدية، كما يدخل ضمن مفهومها مختلف الجهود التي يبذلها العلماء، المعلمون والمربّون في رعاية أفراد المجتمع، ومجهوداتهم فيما بتعلق بالتربية والتعليم والتوجيه ، فهي رؤية ترتبط أساسا بما يرنوا المجتمع تحقيقه من وراء تلك المجهودات.

لكن لا يفهم من ذلك أن مفهومه للتربية يقتصر على إعداد الفرد للمستقبل، أو لحياة أخرى غير الحياة التي يعيشها الفرد، مثلما نجده لدى بعض الرؤى التربوية لدى بعض فلاسفة التربية الكلاسيكيين والمثاليين أو لدى بعض المفكرين المسلمين ممن تركز تربيتهم على إعداد الفرد للحياة الآخرة و الإعراض عن الحياة الدنيا. بل يجمع في مفهوم الإبراهيمي للتربية بين ما توصل إليه من رؤى تربوية في الإسلام وما يفرضه الواقع بشتى تجلياته وتغيراته، من مستجدات علمية ومعرفية، وكذا المشكلات التي يفرضها الواقع الذي يعيشه الفرد الجزائري خصوصا والمسلم عموما.

يوضح عبد القادر فضيل مفهوم التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي على أنها: إعداد الأفراد للحياة الحاضرة والحياة المستقبلية، من خلال الدعوة إلى بناء عقولهم ونفوسهم وتنمية مواهبهم الفطرية وتنشئتهم على صحة الإدراك ودقة الملاحظة. مستوحيا رؤيته هاته من حوادث التاريخ والحقائق العلمية التي استخلصها من التربية في الإسلام، ومن مشكلات الواقع الذي كان مضطربا، لا هو واقع منسجم مع قيم الأمة، ولا هو واقع مندمج مع روح العصر. (عبد القادر فضيل، محرم 1423هـ، ديسمبر 2010، صفحة 40، 41)

فواقع المواطن الجزائري الذي كان يعاني من ويلات الاستدمار فرض رؤية وتربية تتوافق مع ذلك الواقع، فمن جهة يشاهد الفرد الجزائري إقبال واندماج الكثير من الشعوب في عصر جديد، برؤى وفلسفة إنسانية جديدة قوامها الحرية، والتمتع بحقوق التربية والتعليم وفق فلسفة مجتمعاتهم، وعلى النقيض من ذلك يعايش ما يفرضه المستعمر الفرنسي على المجتمع الجزائري من تربية لا تتوافق مع الأمة الجزائرية، بل تعكس إيديولوجيته وسياسته استعمارية. يقف الجزائري أمام هذا موقف المشاهد والمقيد لا مندمجا مع روح العصر، ولا متحررا من المستعمر ممّا يستدعي مشاريع تربوية تحرّره على غرار التي يقدّمها الإبراهيمي.

فمفهوم التربية عند الإبراهيمي يعد نتاجا عمليا وتاريخيا لمنظومة من الفعاليات والمتغيرات الإنسانية، الاجتماعية، السياسية والثقافية التي ميزت الواقع العربي والإسلامي عامة والواقع الجزائري خاصة. فهو يأخذ بهذه المتغيرات محاولا التأسيس لتربية تكون كإديلوجية مناهضة للأيديولوجية الاستعمارية السائدة، والتأسيس لفكر ثوري تثويري يُقبل بالشباب على الحياة حتى يتحرر، ينطلق من الواقع ويعود إليه ليغيره.

فليست التربية مجرد تأملات مثالية وتخمينات كما يظهر لدى رؤى بعض فلاسفة التربية المثاليين، أو كقواعد نظرية تُعلَّم، إنما التربية تتمثل في ضرورة التجسيد الواقعي لها فيما يربى عليه الإنسان، هذا ما كان يسهر عليه الإمام الإبراهيمي بنفسه. وبهذا يكون للتربية مفعولها في أرض الواقع لا مجرد تعاليم نظرية تبقى حبيسة الأذهان. ما من شأنه أن يضفي ويحقق مفهوما واقعيا لها. بكونها إعدادا نظريا وواقعيا للحاضر والمستقبل معا، مع أخذ الإنسان بأسباب ذلك. إذ يدعوا الإبراهيمي المعلمين والمربين إلى مراعاة في تربيتهم، يتحدد ذلك في توجيهاته لهم قائلا:

" ربّوهم على استخدام المواهب الفطرية من عقل وفكر وذهن، وعلى صدق التصور وصحة الإدراك ودقة الملاحظة والوقوف عند حدود الواقع ... ربّوهم على بناء الأمور على أسبابها، والنتائج على مقدماتها علما وعملا ... بيّنوا لهم الحقائق، و اقرنوا لهم الأشباه بالأشباه، واجمعوا لهم النظائر إلى النظائر وبينوا لهم العلل والأسباب، حتى تنبت في صغرهم ملكة التعليل...امزجوا لهم العلم بالحياة، والحياة بالعلم، يأت التركيب بعجيبة، ولا تعمروا أوقاتهم كلها بالقواعد، فإن العكوف على القواعد هو الذي صيّر علماءنا مثل « القواعد »." (محمد البشير الإبراهيمي، 1997، صفحة 272، ج3).

ونفس التصور يتشاركه إلى حد بعيد مع الإمام عبد الحميد ابن باديس، بحكم نفس المرجعية الفكرية لهما، واشتغالهما في التربية والتعليم، و إشرافهما على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فالتربية في تصور الإمام عبد الحميد ابن باديس جهد إنساني هادف يوجه لرعاية الفرد والمجتمع، ويسعى لبناء الفكر وتثقيف العقل، وتقويم الأخلاق وتقوية البدن، من أجل تحقيق الغاية التي يتطلع إليها الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية. وهي بلوغ الكمال الإنساني و بناء الشخصية المتكاملة التي يركز فيها على الجوانب العلمية والعملية والأخلاقية. (فضيل, عبد القادر; رمضان, محمد الصالح، 2010، صفحة 181) إذ يشير الإبراهيمي أن التاريخ يشهد أن ابن باديس هو " واضع أساس النهضة الفكرية في الجزائر، وقد سلك لها المسلك العلمي الحكيم، وهو مسلك التربية والتعليم ... وكان - رحمه الله - يُؤثر التربية على التعليم، ويحرص على غرس الفضائل في نفوس تلامذته قبل غرس القواعد الجافة في أدمغتهم ... وكان من طريقته في التربية أن يرمي إلى تصحيح الفكر، وترقية الروح، وتقوية الخلق، وتسديد الاتجاه في الحياة، وأن يستخرج من قواعد العلوم التعليمية قواعد للاجتماع، وينتزع منها دروسا في التربية والأخلاق." (محمد البشير الإبراهيمي، 1997، صفحة 138، 139، ج5)

يتبين أن مفهوم الإمام الإبراهيمي للتربية منطلقه المحافظة فطرة الإنسان السليمة ومراعاة ملكته العقلية وحِسّه وتنميتهما، وربط تلك الملكات الذاتية بعوامل ومناهج المعرفة الصحيحة، كدقة الملاحظة والوقوف على حدود الواقع، المقارنة بين الأشياء، معرفة العلل و الأسباب. فالتربية بذلك تحمل مدلولا عقليا واستقرائيا للواقع، فاستقراء الحوادث من شأنه أن يكمّل عمل العقل فتتبين الحقائق. ولن يكتمل مفهوم التربية ويتضح إلا إذا امتزجت بالحياة وبالواقع.

فمفهوم الإمام الإبراهيمي يبدوا مفهوما متكاملا بتطرقه إلى تلك الجوانب العقلية والنفسية والواقعية. إذ يتضمن بعدا سيكولوجيا من خلال تركيزه على فطرة الإنسان، ملكاته، مواهبه و ميولاته. بعدا واقعيا سوسيولوجيا من خلال ربط التربية بالواقع وبالمجتمع الذي يكتنف الفرد وفلسفته في الحياة، بعدا علميا من خلال التركيز على النهل من العلوم والمعارف وما استجد منها والاعتماد على نتائج العلم ووسائله في التربية. وبتعبير أعم وشامل ترتبط التربية بالحياة.

ومنه نستخلص أن التربية الحقة عند الإمام الإبراهيمي هي عملية ووظيفة شاملة تعني بالعقل، وتهذيب النفس، والسلوك والبدن. كوظيفة تجمع بين العلم والعمل، فتقود الإنسان من النقص والقصور الذي يعانيه إلى السعي نحو الكمال. والمقصود هو الكمال الإنساني النسبي الفطري الذي ينزع إلى بلوغه. " فالكمال والنقص وصفان يتعاقبان على الفرد، كما يتعاقبان على المجموع، وهذا الإنسان العاقل خلق مستعدا للكمال، وقد هيأ له خالقه الحكيم أسبابه، ومكن له وسائله، ونصب له داخل نفسه وخارجها أمثالا يحتذيها لبلوغ الكمال." (محمد البشير الابراهيمي، 2009، صفحة 71).

5. العلاقة بين التربية و التعليم عند الإمام البشير الإبراهيمي.

إن التطرق إلى مفهوم التربية والتعليم عند الإمام الإبراهيمي أبرز تداخلا وتشابكا بينهما، ما يدفع إلى ضرورة التعمق في توضيح علاقتهما لديه. وهذا التداخل ارتبط بالتطور التاريخي لكل من مفهومي التربية والتعليم، فكثيرا ما يرتبط مفهوم التربية والتعليم في عملية واحدة، نظرا للدور والعناصر المشتركة بينهما، غير أن هناك بعض الخصوصية التي تميزهما عن بعضهما البعض.

فقد ميز الفيلسوف الألماني إمانويل كانط بين المعلم Précepteur وبين المربي Pédagogue فالأول مجرد مدرس، أما الثاني فهو مرشد، الأول لا يربي إلا من أجل المدرسة، أما الثاني فيربي من أجل الحياة. (عبد الرحمن بدوي، 1980، صفحة 124، 125) والمباحث في علوم التربية والتعليمية تتناول مراحل ذلك التطور.

فيعدّ التعليم جانبا جزئيا من جوانب التربية يقتصر على تنمية الجانب العقلي والمعرفي أو جانب القدرة والمهارة ... فالتعليم يمثل الجانب المتخصص في التربية. في حين أن التربية عملية ذات مدلول أوسع وأشمل في غاياتها ومجالاتها و أدوارها، إذ تشمل النمو، التعلم، تغيير السلوك، التكيف النفسي والاجتماعي والتهذيب الخلقي، فهي تعد تنمية لقدرات الفرد وإعداده بهدف أن يحيا حياة كاملة في المجتمع الذي يعيش فيه. (عمر محمد التومي الشيباني، 1980، الصفحات 272- 274).

كما أن التعليم غالبا ما يقتصر وينحصر في المؤسسات التعليمية والمدارس، و يكون موجها ببرامج ومناهج، مركزا على جانب اكتساب المعرفة وتحقيق أهداف أو كفاءات معينة، في حين أن التربية لا تُحدد بقسم أوبمؤسسة بل تضمهم جميعا متجاوزة إياهم لمختلف جوانب الحياة. لذلك ارتبط مفهومها بالحياة عند الإمام الإبراهيمي ولدى العديد من المفكرين.

فالتربية تعني بعملية التثقيف التي لا تقتصر على تنمية الجانب العقلي أو المعرفي، بل أيضا تمتد إلى التهذيب الأخلاقي وتنمية الذوق الجمالي وإكساب الخبرة، و ما يترتب عنه من تغيير في سلوك الفرد بمختلف جوانب شخصيته. وعملية التثقيف التي تقوم بها التربية لا تنحصر داخل المؤسسات التعليمية، بل تشمل كافة جوانب الحياة، كعملية متواصلة تبدأ مع الميلاد. (محمد بغداد باي، 2007، صفحة 182، 183).

هذا المعنى يؤكده مالك بن نبي حيث لا يربط التربية بجانب التعلم لوحده، هذا الأخير الذي يمثل جزءا منها، بل هي كمنظومة حياة شاملة، وكعامل تاريخي وحضاري، تطبق وتنتشر لدى جميع أطياف المجتمع باعتبارها عملية تثقيف وتوعية. " إن من أولويات واجبنا أن تعود الثقافة عندنا إلى مستواها الحقيقي، ولذلك يجب أن نحددها عاملا تاريخيا لكي نفهمها، ثم نظاما تربويا تطبيقيا لنشرها بين طبقات المجتمع." (مالك بن نبي، 2005، صفحة 76).

والمتفحص للواقع التربوي والتعليمي في الجزائر يتبين له مدى الترابط بينهما، فالتعليم وسيلة تساعد على تحقيق الأهداف التربوية التي ينحوا المجتمع إلى تحقيقها. تؤكد ذلك الفلسفة التربوية للإمام الإبراهيمي انطلاقا من أن "التربية هي الأساس والمقصد الأول الذي يسبق التعليم، ليكون الفرد عضوا حقيقيا في أمته صالحا للحياة لها وبها ... فالتعليم مهم للتربية، والتربية لا معنى لها بدون تعليم فهذان الأساسان مكملان لبعضهما ويشكلان ثنائية لا يمكن الفصل بين طرفيها لينجح المشروع الإصلاحي." (جيلاني ضيف، 2013، صفحة 98، 99).

تتموضع التربية وتحتل المكانة الأولى ثم يأتي بعدها التعليم، لأنها المسؤولة عن تهيئة الأرضية لتعليم الأجيال، لأن أي فشل في هذه الحياة قد لا يرجع لعوامل تعليمية بقدر ما يرجع إلى أسس وقواعد تربوية في نظر الإمام الإبراهيمي، من منطلق أن التربية تكوين شامل للإنسان بمراعاة مختلف أبعاده، لا البعد المعرفي فقط، هذا ما يسمح له بتدارك ما فاته، أو تصحيح لمساره في الحياة. فقبل الشروع في عملية التعليم لا بد من تأسيس تربوي للمتعلمين والمعلمين، لأن أدوارهم ليست تعليمية فقط، وإنما تربوية في مقامها الأول. فيدرك المعلم أنه يُربّي قبل أن يُعلّم، و الأولى أن تكون السنوات الأولى للأطفال في المدارس ذات طابع تربوي أخلاقي أكثر منه طابعا معرفيا، حتى تغرس في نفوسهم قيم مجتمعاتهم، كمبادئ لا يحيدون عنها، و يدركون الهدف من تعلمهم.

يؤكد على ذلك الإمام الإبراهيمي كقاعدة وحقيقة تربوية ينبغي أن يركز عليها المربون قائلا : " احرصوا كل الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم، و اجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم، واجعلوها حاديكم في تربية هذا الجيل الصغير، وهاديكم

في تكوينه، وهي أن هذا الجيل الذي أنتم منه لم يؤتَ في خيبته في الحياة من نقص في العلم، وإنما خاب أكثر ما خاب من نقص في الأخلاق، فمنها كانت الخيبة ومنها كان الإخفاق." (محمد البشير الإبراهيمي، 1997، صفحة 264، ج3).

فالتعليم عنده وسيلة والتربية غاية، والغاية تسبق الوسيلة عند بناء الخطة، ولكن لا بد منهما معا (الوسيلة والغاية).فالمعلم يجيب أن يعي المسؤولية الملقاة على عاتقه، ويدرك دوره الحقيقي، الذي يتجاوز تلقين المعرفة إلى ممارسة الفعل التربوي، الذي يتجه إلى تربية العقل، وتزكية النفس، وتهذيب الوجدان، وتقويم الأخلاق. (عبد القادر فضيل، محرم 1423هـ، ديسمبر 2010، صفحة 42).

نفس الرؤية يؤكدها باعزيز بن عمر في تقرير له حول التعليم المكتبي. عند تساؤله ما التعليم ؟ إذ يؤكد أن كل تربية وتهذيب تعليم، و أن كل مهذب معلِّم ومربّ ولا ينعكس، والغاية من التعليم بناءً على هذا أن يصبح المتعلم قد تربت نفسه و تقوّمت أخلاقه وتهذّب ذهنه وصار قادرا على توليد أفكار جديدة واستنتاجات خاصة كلما تقدم في سبيل التعلم ومراحل الحياة، وكل ما يجب أن يتم مع هذه التربية من مسائل مدققة ومعلومات صحيحة فهو من الفوائد الثانوية التي تأتي بالتعليم بطول الدراسة، ولعله نفس أسلوب القرآن الذي سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم في تعليم أمته و تهذيبها، وإعدادها لكل خير بالتزكية. (باعزيز بن عمر، س2009، صفحة 89).

فالإمام الإبراهيمي كان من أشد المؤمنين والمدافعين عن ضرورة إيلاء التربية والتعليم الأهمية التي تليق بدورهما باعتبارهما وسيلة واحدة تُعنى بإعداد الأفراد وتأهيلهم سلوكيا ومعرفيا للاضطلاع بما ينتظرهم من أدوار لتحرير الأرض. وبذلك كان الاهتمام بالتعليم منهج جمعية العلماء المسلمين في الإصلاح. ومحاربة الفساد الذي استشرى في العقول والنفوس، فالخلاص من هذا الواقع المشين لا يكون إلا بتربية النشء وتعليمه. (جيلاني ضيف، 2013، صفحة 97).

ومن هذا المنطلق فالتعليم هو مجرد لحظة تربوية أو موقف تربوي جزئي من النظرة الشمولية التي تميز التربية، لأن الطفل مثلما يتعلم بعض المبادئ التربوية في مواقف تعليمية معينة في المدارس أو في المساجد، فإن الحياة بمختلف وضعياتها ومشكلاتها بمثابة المربي له، خاصة مع ارتباط التربية بغايات بعيدة قد تتعدى أجيالا لتتحقق، فهي لحظة ومعركة وجودية مع الذات، مع الآخر و مع الحياة. يكون المعلم والمربي فيها أبا ومعلما، يجمع بين التربية والتعليم، لأن التعليم في أصله الأول عملية تربوية، كان يشرف عليها الآباء، وما الاختلاف الظاهر إلا لفظي لا غير، نظرا للتكامل الوظيفي بينهما، فلا يكتفي المعلم بدوره التعليمي فقط، بل يركز على التربية، خاصة أن القيم الأخلاقية والمشاركة الوجدانية، وبناء السلوك القويم لا تُعلّم بل يربّى الطفل و ينشأ عليها.

يؤكد محمد العابد الجلاّلي أحد أساتذة مدرسة جمعية التربية والتعليم قديما في الجزائر أنه إذا أضيفت التربية إلى التعليم، كان هنا موقف المعلم أدق، على أن الفرق بينهما لا يكاد يُدرك إلا عندما يريد الإنسان أن يدقق في معاني الألفاظ، ذلك أن التربية والتعليم كلاهما عمل من عمل الآباء، وليس كل معلم في استطاعته أن ينزل نفسه من تلاميذه منزلة الأب من أبنائه، والعمل على ذلك يجعل من المعلم قوة دافعة لأبنائه في سبيل العمل لصالح دينهم ولغتهم ووطنهم، وتجعل من أذهان أبنائه صفحات أنصع وأكثر قبولا لصور الكمالات النفسية." (محمد عابد الجلّالي، 2009، صفحة 77).

تصور الإبراهيمي التربوي في هذا السياق مستمد من مرجعيته وتربيته الإسلامية، إذ أن هذه الأخيرة تؤكد على ضرورة جعل التربية بجوار التعليم، فتكون موجهة للمعلمين والمتعلمين، فلن يفيد أن يكون الإنسان متعلما إن لم يكن مزودا بمكارم الأخلاق التي توجه سلوكه وتفيد بعلمه. وهو ما يبينه تركي رابح عندما يشير إلى الإصلاح التربوي عند الإمام ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين "والواقع أن مفاخر التربية الإسلامية أنها قد أدركت منذ عهد طويل أن العلم وحده لا يكفي لكي يكون سلاح المعلم، بل لا بد أن يضاف إلى العلم فن التربية." (تركي رابح عمامرة، 2001، صفحة 475).

إذ يؤكد الشيخ الإبراهيمي أن وظيفة الرسول عليه الصلاة والسلام كانت أخلاقية تربوية في المقام الأول قبل أن تكون تعليمية، فعندما ربّى النفوس و زكّاها سهّل تعلمها لمختلف ما تضمنته الشريعة الإسلامية، لأنه هيأ الأرضية والقواعد التي تقوم عليها تلك التعاليم الربانية، من منطلق الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة، الآية 151.إذ كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقوم بتزكية النفوس وتربيتها على مكارم الأخلاق، إذ أنه لا ينفع علم، ولا ينفع تعليم ما لم يمهد له بالتربية الحقة لذلك يرى الشيخ الإبراهيمي أنه " قدّم التزكية التي هي التربية على تعليم الكتابة والعلم." (محمد البشير الإبراهيمي، 1997، صفحة 166، ج5)

هذا ما يبرز التكامل والتداخل بين التربية والتعليم عند الإبراهيمي من منطلق التداخل بين وظيفتهما، ونظرا إلى الغاية والهدف الواحد لهما. يؤكد الإبراهيمي التكامل بتوضيحه طريق عمل الجمعية في سبيل هَبَّتها العلمية للنهضة بالوطن، مبينا أنه لا يمكن أن تقوم قائمة للتعليم ولا استثمار نتائجه فيما ينفع الأمم إلا إذا ارتبط بالتربية. فهو سلاح يوجه إما للبناء أو الهدم على حسب الغايات: " كانت الطريقة التي بنت عليها جمعيتنا أصول هذه النهضة هي الجمع بين التربية والتعليم، لأن العلم الخالي من التربية ضرره أكثر من نفعه، وما أصيب المسلمون في عزّتهم إلا يوم فارقت التربية الصالحة العلم. وكم شقيّ أصحاب العلم المجرد بالعلم وأشقوا أممهم، والسعادة غاية لا يسلك إليها طريق العلم وحده من غير أن تصاحبه التربية وأن الجمع بين التربية والتعليم هو وظيفة النبّوة." (محمد البشير الإبراهيمي، 1997، صفحة 173،ج4). من خلال هذا يظهر مدى الترابط والتكامل بين التربية و التعليم مع التأكيد على أسبقية التربية. فالتربية و التعليم بمثابة عملة واحدة ذات وجهين تقريبا في نظر الإمام الإبراهيمي، الذي ركز على الوظيفة التي يؤديانها لا الخوض في الخصوصية المفاهيمية لهما، فالتعليم ما هو إلا عبارة عن موقف تربوي يعكس لحظة وجودية لها سماتها في فلسفة الإبراهيمي التربوية.

6.الخلاصة.

نستنتج ختاما من خلال التطرق الى التربية والتعليم من حيث المفهوم والعلاقة عند الإبراهيمي إلى تلك الأهمية البالغة لهما في تكوين الإنسان وبناءه، ما يفسّر أهميتهما في مشروعه الإصلاحي والنهضوي في شتى المجالات وبالأخص في المجال التعليمي التربوي. إن نظرة الإبراهيمي شاملة ومتكاملة الجوانب عموما بشمولها لقضايا التربية والتعليم، ومن خلال ربطها بنهضة المجتمع الجزائري وإصلاحه، وتوجيهها لمجابهة الإستيلاب الاستعماري الثقافي والتربوي للمواطن الجزائري ولعقله، خصوصا الأطفال والشباب منهم. فرؤية الإمام الإبراهيمي جمعت بين مختلف الجوانب التي تدخل في بناء شخصية الإنسان، من أبعاد نفسية واجتماعية وثقافية. فقد أخذ بعين الاعتبار ظروف الراهن الذي يعيشه الجزائري في تلك الحقبة الاستدمارية التي عاشها، دون إهمال نظرته الإستشرافية للتربية التي تنُمُّ عن قراءته للواقع بعيون المستقبل، بهدف بناء أجيال مفعمة بالوطنية تدرك حقوقها وتقوم بواجباتها قادرة على تشييد دولة عصرية، تحتضن مجتمعا جزائريا مستقلا متحضرا.

الإحالات و المراجع

ابن منظور) .د.س .(لسان العرب، مجلد4، باب العين.

الزبيدي, محمد مرتضى الحسيني. (1408هـ- 1987م). تاج العروس من جوهر القاموس، ج2. الكويت: مطبعة حكومة الكويت.

أندريه لالاند .(2001) .موسوعة لالاند الفلسفية، مج .A-G 1بيروت :منشورات عويدات بيروت.

أوبير, روني. (1983). التربية العامة. بيروت: دار العلم للملايين.

باعزيز بن عمر. (س2009). تقرير في التعليم المكتبي، سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. الجزائر: دار المعرفة.

بيبي مرزاق. (2006-2007). الفكر التربوي عند محمد إقبال ومحمد البشير الإبراهيمي دراسة مقارنة،أطروحة دكتوراه دولة في علوم التربية. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية و الأرطوفونيا، جامعة الجزائر، الجزائر.

تركي رابح عمامرة. (2001). الشيخ عبد الحميد بن باديس-رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر. الجزائر: منشوراتANEP.

جميل صليبا .(1982) .المعجم الفلسفي،ج .1بيروت :دار الكتاب اللبناني.

جيلاني ضيف .(2013) .بناة المجد –محمد البشير الإبراهيمي .الجلفة ,الجزائر :طبعة خاصة لوزارة الثقافة، دار الخليل العلمية.

دوجلاس براون) .س .(1994أسس تعلم اللغة وتعليمها Dans .د .براون ,*أسس تعلم اللغة وتعليمها*،) .ت .ع .شبعان .Vol ,.Trad ,دط .p , ص .(25لبنان :دار النهضة العربية، بيروت.

شكري فيصل .(2012) .قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي، الشيخ البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه .الجزائر :دار الأمة للنشر و التوزيع.

عبد الرحمن بدوي. (1980). فلسفة الدين والتربية عند كانط. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

عبد القادر فضيل) .محرم 1423هـ، ديسمبر .(2010التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي .رويبة ,الجزائر :مجلة الوعي، ع2، دار الوعي للنشر و التوزيع.

عبد المالك مرتاض .(1984) .الموسوعة التاريخية للشباب، محمد البشير الإبراهيمي محمد البشير الابراهيمي .1965-1889الجزائر : منشورات وزارة الثقافة والسياحة،مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث،.

علي أسعد وطفة .(2011) .أصول التربية إضاءات نقدية معاصرة، .الكويت :لجنة التأليف والتعريب والنشر،جامعة الكويت.

عمر محمد التومي الشيباني. (1980). الاتجاهات الحديثة في مفهوم التربية، سلسلة -كتاب الشعب- ط1، العدد6،. سلسلة -كتاب الشعب- منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان.

عمر محمد التومي الشيباني. (1971). تطور النظريات والأفكار التربوية. بيروت، لبنان: دار الثقافة.

فضيل ,عبد القادر ;رمضان ,محمد الصالح .(2010) .إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، الجزائر :دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.

مالك بن نبي .(2005) .مشكلة الثقافة .دمشق ,سوريا :دار الفكر.

محمد البشير الإبراهيمي .(1997) .آثار محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي .بيروت :دار الغرب الإسلامي.

محمد البشير الابراهيمي .(2009) .تقرير الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي عن الأمية، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين . الجزائر ,الجزائر :دار المعرفة.

محمد بغداد باي .(2007) .التربية والحضارة –بحث في مفهوم التربية وطبيعة علاقتها بالحضارة في تصور مالك بن نبي .الجزائر :عالم الأفكار للنشر والتوزيع.

محمد عابد الجلّالي. (2009). نظرة في التربية والتعليم، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تقديم عبد الرحمان شيبان. الجزائر: دار المعرفة.

نقيب, عمر. (2018). مدخل إلى علوم التربية – رؤية بديلة. الجزائر: شركة الأصالة للنشر.